

شمس الدين العجلاني

سورية هي سورية أم العروبة ولقلمها، مهد الحضارة وأمهـا.. سورية هي العطاء والسحر والكرم: (سورية) كرمة قد نمت قدما أمام وجه الشمس، وأعطت عنباً لذيذاً تجددت بطعمه الآلهة، وخرأً سحرياً شربت منه الإنسانية فسكرت، ولم تصخّ بعد من نشوتها– جبران خليل جبران). ولأن سورية كذلك، فلم يكن يوم العدوان الثلاثي على مصر مجرد يوم عادي في تاريخ سورية.. ولم يكن صعبا في مواجهة العدوان أن ترى بلدا كسورية انخرط بشعبيه وجيشه، وبرجاله ونسائه في مقاومة العدوان الثلاثي على مصر.. فكان تفجير أنابيب شركة نفط العراق (الأي بي سي) البريطانية، الممتد من كركوك إلى مصفاة باناس، رسالة إلى الغرب بأسره بأن سورية جيشا وحكومة وشعبا مع مصر.. كما كانت عملية الضابط البحار السوري ابن اللاذقية البطل جول جمال في الدفاع عن مصر تأكيداً على أن معركة مصر هي معركة سورية بكل مكوناتها، وامتدادا لموقف كل رجالات ونساء سورية تجاه كل الدول العربية. الزمان: ليل يوم الثلاثاء الواقع في الثلاثين من تشرين الأول من عام ١٩٥٦م.

الحادث: المدن والنقري المصرية الحدث: العدوان الثلاثي على مصر الذي حدث عندما قام الرئيس المصري جمال عبد الناصر آنذاك بتأميم شركة قناة السويس- وتجميد أموالها في الداخل والخارج لاستخدام هذه الأرباح في تطوير السد العالي، وكانت القناة مملوكة لشركة فرنسية بريطانية منذ حفرها في القرن التاسع عشر. وكانت كل من بريطانيا وفرنسا قد اتفقتا مع إسرائيل على أن تقوم القوات الإسرائيلية بمهاجمة مصر، وحين يتصدى لها الجيش المصري تقوم بريطانيا وفرنسا بالتدخل وإزالة قواتهما في منطقة قناة السويس ومحاصرة الجيش المصري. نفذت إسرائيل هجومها على سيناء في ليل يوم الثلاثاء الثلاثين من تشرين الأول عام ١٩٥٦م، وبدأت إسرائيل اعتداءها على مصر الشقيقة بدخول ١٦ طائرة نقل إسرائيلية طراز داكوتا على ارتفاع ٥٠٠ قدم وفي حراسة مباشرة من عشر طائرات متيور إضافة إلى ست عشرة طائرة مستير، ثم ما لبثت كل من بريطانيا وفرنسا أن دخلتا في العدوان مع إسرائيل وبدأت طائرات قوى الشر تقصف المدن والنقري المصرية، ونشبت الحرب، فأصدرت كل من بريطانيا وفرنسا إنذاراً بوقف الحرب وانسحاب الجيش المصري والإسرائيلي لمسافة ١٠ كم من ضفتي قناة السويس ما يعني فقدان مصر سيطرتها على قناة السويس، ولما رفضت مصر نزلت القوات البريطانية والفرنسية في بور سعيد ومنطقة قناة السويس، وانتهت الحرب بفضيحة كبرى للدول المعتدية، وخرج عبد الناصر منتصراً نصرأ سياسياً كبيراً.

الموقف: سورية تنتصر لمصر

بدأت إسرائيل اعتداءها على مصر الشقيقة بدعم بريطاني وفرنسي، وفي يوم الجمعة ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٥٦م صدر عن القوات المصرية البلاغ رقم ١٤ جاء فيه: «في الساعة الحادية عشرة ونصف صباحا حدثت غارة جوية على قرية مصرية في أبي زعبل وكذلك على أجهزة إرسال محطة الإذاعة المصرية ما سبب علأا فيها وبعض الخسائر الأخرى التي لم تحدد بعد».

لقد قامت الطائرات الفرنسية والبريطانية بتوجيه ضربات جوية على الأهداف المصرية طوال يومي ٢ و٣ تشرين الثاني، واستطاعت إحدى الغارات تدمير هوائيات الإرسال

عام ١٩٥٦: سورية تنتصر لمصر وتخسر خلال ١٢٩ يوماً ٢٢ مليون ليرة سورية



خلال العدوان الثلاثي على مصر تسف السورويين انابيب البترول المارة باراضيهم تضامناً مع مصر

من اقتناعه أن هذا العمل سوفو دعماً كبيراً لمصر، لكن عبد الحميد السراج كان قد بدأ فعلا في اتخاذ الخطوات التنفيذية. وقد استدعى رئيس الوزراء في سورية ناظم القدسي كلا من اللواء شوكت شقير واللواء عفيف البرزّي– وهما قائدا الجيش السوري آنذاك– ونقل لهما أن السفارة البريطانية أبلغته بوجود وحدات عسكرية أو شبه عسكرية حول محطات الضخ الخاصة بخط أنابيب التابلاين فنيايا علمهما بهذا الموضوع، فقام ناظم القدسي باستدعاء عبد الحميد السراج، وأعاد عليه السؤال نفسه فتفى بدوره علمه بأي مخططات في هذا الشأن.. فقال له ناظم القدسي: «إن لديه معلومات تقول كذا وكذا.. وأنت حا تضييعنا وتؤذي الوضع العام!!، فرد عليه عبد الحميد السراج في ثلاث محطات للضح، وامتناع العمال السوريين عن إفراغ السفن القادمة من فرنسا وبريطانيا إلى الموانئ السورية. ففي الخمسينيات من القرن الماضي كان يمر من سورية خطان لنقل البترول أحدهما للبترول العراقي عند ميناء باناس على الساحل السوري، والثاني ويسى خط (التابلاين) ينقل البترول من الخليج العربي، ويمر في الأردن وسورية ثم يصب في ميناء طرابلس على البحر الأبيض المتوسط.. وحين امتدت يد الشر لمصر الشقيقة أثناء العدوان الثلاثي ١٩٥٦م قام العمال السوريون بتسف خط أنابيب البترول الذي يمر عبر سورية حاملاً البترول إلى أوروبا، وقد اتفقت الأوساط البريطانية بوزمان الجيش السوري بأنه هو الذي قام بعملية التخريب.

على حين يقول سامي شرف الذي كان من مؤسسي المخابرات العامة والمباحث العامة سنة ١٩٥٢ في مصر ومن ثم وزيراً لشؤون رئاسة الجمهورية: (وكان أهم هذه الاتصالات ما تقدم به عبد الحميد السراج– نائب رئيس الجمهورية أثناء الوحدة ورئيس الشعب الثانية (المخابرات) في الجيش السوري سنة١٩٥٦– بعرض نيته تسف خط أنابيب البترول الذي ينقل الخام من العراق إلى البحر الأبيض عبر سورية، لكن الرئيس عبد الناصر نصح بعدم التورط في المعركة حماية لهم ولسورية على الرغم لنا العروبة في سورية فنفسنا أنابيب البترول».

على مراكز التطوع نساء ورجالاً للتدريب على حمل السلاح للدفاع عن مصر. وهنا نذكر المربة السورية الكبيرة نجاح ساعاتي، التي كانت من النساء اللواتي تطوعن للتدريب على السلاح عام ١٩٥٦ وهي حامل، وكان نتيجة ذلك أن أجهضت. ونجاح ساعاتي أصبحت فيما بعد عضو المجلس الوطني للنزوة (البرلمان) عام ١٩٦٥.

لقد عمت النقمة الشعبية في سورية ما دعا الشعب السوري الناثر لنصرة مصر فألقت القنابل على القنصلية الفرنسية في دمشق، وحلب، وهوجمت المؤسسات الثقافية الفرنسية والبريطانية. ولكن الأهم من ذلك كان تسف أنابيب البترول في سورية يوم ١٩/١٢/١٩٥٦، والعاذة لشركة (أي بي سي) البريطانية، في ثلاث محطات للضح، وامتناع العمال السوريين عن إفراغ السفن القادمة من فرنسا وبريطانيا إلى الموانئ السورية. ففي الخمسينيات من القرن الماضي كان يمر من سورية خطان لنقل البترول أحدهما للبترول العراقي عند ميناء باناس على الساحل السوري، والثاني ويسى خط (التابلاين) ينقل البترول من الخليج العربي، ويمر في الأردن وسورية ثم يصب في ميناء طرابلس على البحر الأبيض المتوسط.. وحين امتدت يد الشر لمصر الشقيقة أثناء العدوان الثلاثي ١٩٥٦م قام العمال السوريون بتسف خط أنابيب البترول الذي يمر عبر سورية حاملاً البترول إلى أوروبا، وقد اتفقت الأوساط البريطانية بوزمان الجيش السوري بأنه هو الذي قام بعملية التخريب.

على حين يقول سامي شرف الذي كان من مؤسسي المخابرات العامة والمباحث العامة سنة ١٩٥٢ في مصر ومن ثم وزيراً لشؤون رئاسة الجمهورية: (وكان أهم هذه الاتصالات ما تقدم به عبد الحميد السراج– نائب رئيس الجمهورية أثناء الوحدة ورئيس الشعب الثانية (المخابرات) في الجيش السوري سنة١٩٥٦– بعرض نيته تسف خط أنابيب البترول الذي ينقل الخام من العراق إلى البحر الأبيض عبر سورية، لكن الرئيس عبد الناصر نصح بعدم التورط في المعركة حماية لهم ولسورية على الرغم

الرئيسية للإذاعة المصرية في منطقة صحراء أبي زعبل شمال القاهرة قبل أن يلقي الرئيس المصري عبد الناصر خطبته من فوق منبر الجامع، وتوقفت الإذاعة المصرية عن الإرسال، وهنا كانت المفاجأة الكبرى التي صعقت من أراد إسكات صوت قاهرة المعز، حيث انطلقت إذاعة «دمشق» على الفور بالنداء «هنا القاهرة» ويقول محمد أمين حماد الرئيس الأسبق للإذاعة المصرية عن أحداث القتال يوم الجمعة ٢ تشرين الثاني ١٩٥٦: «على حين كانت سفن الغزو تقترب حينئذ من ساحل بورسعيد، اتسع مجال التهديد الجوي المركز على مصر فشمّل أهدافاً مدنية أيضاً، بعد أن تأكدت القيادة الأنجلو– فرنسية بغيرص من خلو مسرح العمليات من الطائرات المصرية، وما إن قصفت هوائيات الإذاعة المصرية وأسكتت إرسالها حتى أعلنت إذاعة دمشق نداء «هنا القاهرة». وأيضاً تذكر موسوعة مقاتل من الصحراء الحادثة نفسها وتقول: «أعلنت إذاعة دمشق نداء هنا القاهرة».

في تلك الليلة، ليلة بدء العدوان الثلاثي على مصر خرج زورق الضابط السوري البطل ابن اللاذقية الموجود في مصر، لمقابلة السفينة الفرنسية «جان بارت» التي جاءت لتعديتي على مصر، واستطاع الاقتراب من المدمرة الفرنسية ونفذ عملياته البطولية، التي أدت إلى استشهاده وتفجير «جان بارت» فخر البحرية الفرنسية آنذاك، مسطراً بذلك أروع صور البطولة والتضحية في الدفاع عن مصر.

تدمير أنابيب النفط

قامت سورية عن بكرة أبيها لنصرة مصر، فحين أعلن جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس، انعقد المجلس النيابي السوري فوراً وقرر تأييد مصر في تأميمها لقناة السويس والوقوف إلى جانبها ضد أي عدوان محتمل عليها... وتشكلت الهيئة العربية السورية لنصرة مصر، شاركت فيها جميع الأحزاب السورية وخرج الشعب العربي في سورية بمدنها وأريافها ليشارك في مهرجانات يوم مصر، وقد شكلت لجان فرعية في جميع المحافظات للهيئة العربية السورية لنصرة مصر... وتهاقت الناس

الصوت الذي لن نساها أبداً

مها الجابري في ذكرى رحيلها



مادلين جليس

ولشدة إعجاب الجميع بصوت مها الجابري فقد قال فيها النقاد: «إنها من أبرز الأصوات النسائية السورية التي حافظت على طابع الأغنية السورية الأصلية، فهي صاحبة صوت جميل قوي شجي قدير صادق «سوبرانو» متميز بالعدوية والصفاء، ما مكّنها من البراعة في أداء أصعب قوالب الغناء العربي باقتدار وبشكل خاص الدور والقصيدة والموشح والقدود الحلبية، وتنافسّت في عصرها ملكات الطرب العربي الأصليين».

ومع بدء التلفزيون السوري إرساله عام ١٩٦٠، انتقلت إلى دمشق لتقدّم غناها عبر الإذاعة والتلفزيون. وكما قلنا فإن مها الجابري كانت المطربة السورية الوحيدة التي لحن لها كبار الملحنين المصريين، فكان سيد مكاي من أوائل الملحنين المصريين الذين لحنوا لها، فقد لحن لها قصيدتين من نظم الشاعر السوري بدوي الجبل، وهما قصيدتا «سقى الله عند الأذقية»، وقصيدة «موطن النجوم»، التي سجلتها مها خلال إحدى زياراتها إلى مصر سنة ١٩٧٧.

وكان الملحن عبد العظيم محمد أكثر الملحنين المصريين تلحيناً لها الجابري، إذ لحن لها ثلاث أغنيات وهي: «الوحدة» من كلمات محمد حلالة عن وحدة سورية ومصر، و«أخدوه وفاتوه» و«من جنتي خدوك» من كلمات الشاعر المصري عبد الوهاب محمد. ولحن لها بلوغ حمدي أغنية «ارحمني يا قلبي» من كلمات الشاعر المصري مأمون الشناوي، أما محمد الموجي فلحن لها أغنية «صعبان عليك» من كلمات الشاعر المصري فوزي المغربي.

الحب والثورة – قراءات في أدب

نزار قباني في ثقافي بيت ياشوط



اللاذقية- صبا العلي

سلط الناقد الأدبي حكمت صارم الضوء على مفهوم آخر للحب في أدب الشاعر الكبير نزار قباني وهو الثورة ما أطعها بعداً جالياً جيداً وارتباطاً وثيقاً بالحديث الإنساني والاجتماعي، فغدا حبه الكلي العام ثورة على القيم البالية والموروث الاجتماعي وثورة على الرجعية والاستعمار وثورة على الكراهية والإرهاب، ومُؤسساً بذلك حباً بفضاءات جديدة وبنفحة ثورية شعرية كما أسس حباً للأرض والوطن والمرأة والتاريخ، وذلك في محاضرة بالمركز الثقافي العربي في بيت ياشوط التابعة لريف اللاذقية.

وبين صارم باستعراض موجز لنفحات نزارية شعرية ضمنها في محاور ثلاثة مدى ارتباط مفهوم الحب بالثورة لديه هذا الارتباط الذي يوفق العلاقة بين ماضي نزار وحاضر الوطن توضح من خلاله خطوط عريضة وجادة لتحرير الوطن من كل الرواسب التي تعوق حركته التنهوية، فالعلاقة بين الحب والثورة علاقة عضوية وجدلية في ما أن

ويذكر اللواء المصري محمد عكاشة في كتابه «صراع في السماء: الحروب المصرية– الإسرائيلية ١٩٤٨– ١٩٦٧»: «شكل الرأي العام العالمي ضغطاً كبيراً على كل من إنكلترا وفرنسا بالظهورات وفي الأمم المتحدة ونسف أنابيب البترول في سورية».

أما الصحاففة المصرية فقد تناولت الخبر على الشكل التالي، صحيفة الأهرام الخميس ١ نوفمبر ١٩٥٦، ٢٧ ربيع الأول عام ١٣٧٦: «عمال سورية ينسفون أنابيب البترول إذا نفذ الإنذار البريطاني الفرنسي الموجه إلى مصر».

صحيفة الشعب الجمعة ٢٨ ربيع الأول، ٢ نوفمبر ١٩٥٦: «سورية قطعت أنابيب البترول في أراضها».

صحيفة الجمهورية السبت ٢٩ ربيع الأول، ٣ نوفمبر ١٩٥٦ م: «سف أنابيب البترول– قوات سورية تدخل الأردن وتتلقى أوامرها من عبد الحكيم عامر».

صحيفة الجمهورية الأحد ٣٠ ربيع الأول ١٣٧٦، ٤ نوفمبر ١٩٥٦: «سف ثلاث محطات لنقل البترول في سورية».

القتولي والعدوان الثلاثي

قبل العدوان الثلاثي على مصر كان مقرراً زيارة رسمية للرئيس السوري شكري القوتلي إلى الاتحاد السوفيتي، وبعد ساعات من بدء العدوان الثلاثي على مصر غادرت القوتلي إلى الاتحاد السوفيتي، وخصص زيارته هذه لدعم قرار مصر تأميم قناة السويس وتشجيع روسيا على دعم الرئيس جمال عبد الناصر عسكرياً وسياسياً ضد فرنسا وبريطانيا، واجتمع مع وزير الدفاع الروسي «بولغانين»، فقال الوزير: إنهم لا يستطيعون وقف الحرب شارحاً له الأمر على الخريطة بعضاً موضحاً انتشار قوات بريطانيا وفرنسا.. فأسكت الرئيس السوري العصا من يد «بولغانين» وقال له: «أنت إله الحرب.. وأنا المذني الأعزل.. أناشدك بإيقاف الحرب على مصر»، فكان الإنذار السوفيتي الشهير أو ما يعرف بإنذار «بولغانين» حيث هدد الاتحاد السوفيتي بالتدخل العسكري وضرب لندن وباريس بالسلاح النووي إذا لم توقفا الاحتلال ضد مصر.

خسائر سورية من نسف أنابيب النفط

كتب ذات يوم من عام ١٩٥٧م الصحفي والكاتب، مدير المكتب الصحفي في رئاسة الأركان السورية، قنبري قلعي (١٩١٧–١٩٨٦م): (كانت سورية تحصل على ٦٤ مليون ليرة سورية في العام أي ١٧٥ ألف ليرة في اليوم، لمرو النفط في أراضيهما... وقد ركزت سورية هذا المبلغ الكبير بقدما وجعلت الصلحة القومية فوق جميع المآسب والاعتبارات. كانت سورية عازمة عزماً أكيداً على التخلي عن هذا الربح، مادام المستعرون والصهاينة يحتلون شبراً من أرض مصر.

وإذ ذكرنا أن توقف البترول قد استمر ١٢٩ يوماً من ٣ نوفمبر ١٩٥٦ إلى ١٢ مارس ١٩٥٧، فملنا أن المبلغ الذي خسرت سورية خلال هذه المدة يبلغ ٢٢ مليوناً و٧٥٠ ألف ليرة سورية.

وقد قال رئيس الجمهورية السورية شكري بك القوتلي إن سورية على استعداد لأن تتكبد أضعاف ذلك المبلغ بكثير في سبيل رد يد العدوان الأثم على مصر).

ويعد

هذا مثال واحد على ما فعلته وتقله سورية... فهل تستحق من مصر أو الحكومات العربية الأخرى كل هذا؟! وأن يقفوا في معسكر الإرهاب ويضعوا يدهم بيد شاذ الأفاق للنيل من عشق ومقاومة سورية!؟

وكل منهما نواة لآخر وفضاء له، كما أوضح صارم كيف استطاع نزار أن يصل إلى معادلة شعرية يصعب من خلالها الوطن هو الحبيبة والحبيبة هي الوطن

يقول:

إني أحبك كي أبقى على صلة بـها.... بالأرض..... بالتاريخ.... بالزمن.

بالماء... بالزرع بالأطفال إن ضحكوا.

وصنف صارم ثورة نزار في الحب في مناخات عدة، فعلى صعيد الأدب والشعر حطم أصدام البلاغة والقوالب الشعرية المهجورة واخترق جدار الأخلاق المجتمعية والموروثة في إباحية التعابير التي تكشف خبايا النفس والجسد، وفي سعيه لتحرير الإنسان العربي وعواطفه من القهر والإرهاب والازدواجية شكلت طروحاته باب الخلاص للشباب العربي المعتقل في سراديب التاريخ وتقاليده البالية. وعلى صعيد الكلمة فقد أخرجها من عتمة القواميس وجعلها كمتحفو يحط على نوافذ الناس كل الناس، وحول الشعر إلى خبر يومي وقماش شعبي يليسه الجميع وامتشق قلمه سيفا في وجه جميع المؤسسات والأفكار والخرافات القديمة، فحطم صنمية التفكير وأطلق حبه كخاية بثورة عارمة على كل المفاهيم المغلوطة والمزدوجة مبشراً بولادة جيل عربي جديد، كما سعى لتحرير المرأة العربية بوصفها أجمل وأرق مخلوقات ويوصفها الضن الدائى، لولادة الحضارات، وواجه بأحكامه ومقاييسه التي رسمها بأبعديه الشعرية الموصوفة بالسهل الممتنع الحكام الرجعيين واستبدادهم وتجلي ذلك في قصيدته الشهيرة التي رثى فيها زوجته ومعشوقته بلبقيس ضحية الإرهاب الخسيس.

الحب عن نزار مثل غابات الأمازون كلما تغلغل الإنسان فيه ضاع في نور الحقيقة وهو طموح نحو المعرفة والاكتشاف والتنبؤ.

وأوجز الناقد صارم في المحور الثالث للمحاضرة دور نزار الاستباقي في تفعيل ثقافة الحب كسلاح ثوري لمواجهة ثقافة الكراهية والإرهاب والفساد، وتفعيل دور الأدب والثقافة لتسييد المقاومة على الأرض سلوكاً علمياً يدعم كل العلوم والمعارف ويترجمها إلى فعل مدروس بمصداقية للبدء بالنهوض الحضاري ولحلم رسالة التحرر الوطني فداعاً عن الدماء لتكون أريقت بألة الحرب الصهيو اميركية والأذعة الإرهابية، مشيراً إلى أن بناء الإنسان فترا وعاطفة هو الحصانة الحقيقية لمستقبل أرتي وأفضل.

وختم الناقد صارم محاضرته ببذبة عن حياة الشاعر الكبير نزار الذي اعتمر حياة الشباب وملاً محافظهم ومكتباتهم الجامعية ونشاطهم ورحلاتهم حتى كاد يكون للحب عنوان، كما عنى صفائه كبار فناني هذا الزمان وهو ابن البيت دمشقي العتيق مدينة الياسمين والعشق الأبدى، فسكن إليها المحبون مع ابتلاج فجر كل يوم جديد.